مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد: 03 العدد: 01 ماي 2023

تمثلات طفولة الأبناء في شعر شوقي

Representations of childrens childhood in poetry of Ah med Shawky

د. مرتضى بابكر أحمد عباس[1]

D. Mortda papeker ahmad apass

جامعة وادي النيل

Nile Valley University

تاريخ الإرسال:2022/01/10 تاريخ القبول: 2023/03/27

[1] المؤلف المرسل

الملخص:

يكثر ذكر الأبناء في شعر الشاعر أحمد شوقي الذي تتبع نمو أطفاله في مراحل طفولتهم المختلفة في قالب شعري يحمل بداخله كل أشكال العلاقة الحميمة والشوق والحنين لهم خصوصا إذا ما غاب عنهم.

و قد نجد ذات الإشارات للعلاقة الحميمة بين الأب وأطفاله في الشعر العربي، إلا إنها إشارات خاطفة لا يطيل الشعراء الوقوف عندها كثيرا فيمرون عليها سريعا.

و يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب مهم من حياة الشاعر أحمد شوقي وسلوكه داخل أسرته وعلاقته مع أبنائه خصوصا في فترة الطفولة وهو الأمر الذي لم يتطرق له الباحثون كثيرا في دراساتهم. فكانت الدراسة بعنوان: " تمثلات طفولة الأبناء في شعر أحمد شوقي".

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: تمثلات، الطفولة . الأبناء

Abstract :

The sons are often mentioned in the poetry of the poet Ahmed Shawqi, who traces the growth of his children in the various stages of their childhood in a poetic form that carries within it all forms of relationship, longing and nostalgia for them, especially if he is absent from them.

We may find the same references to the intimate relationship between a father and his children in Arabic poetry, but they are cursory references, and the poets do not take long to stop at them, so they pass quickly.

Through this study, the researcher aims to shed light on an important aspect of the life of the poet Ahmed Shawky and his behavior within his family and his relationship with his children, especially during childhood, something that the researchers did not address much in their studies.

key words: Representations, childhood, children

01- مقدّمة:

تعد مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في حياة الإنسان فهي الركيزة الأساسية والمرحلة الأبرز التي تعتمد عليها شخصية الطفل بشكل كبير في المستقبل، ومرحلة الطفولة من المراحل الخالدة العالقة بعقل الإنسان والتي تحتل حيزا كبيرا من ذاكرته.

تحدث الشعراء عن تلك المرحلة من حياة الإنسان في محاولة لاسترجاع تفاصيلها والعودة لها فأطال بعضهم الوقوف عندها " ولعل السبب لهذه العودة هو أن الإنسان بطبعه يود لو يسترجع الماضي ويحييه، إذ للماضي نكهة خاصة عند الإنسان لا سيما ذلك الذي أثقلت عليه أحزان الحاضر كاهله وأخذ الاغتراب بخناقه، فالماضي على وفق هذا التصور مرفأ يرتاده الشاعر فراراً من الألم والتماسا للراحة وإن كانت في الحلم والخيال[1].

والحنين إلى الطفولة من أكثر الحالات الشعورية كونها حالة تتولد جراء استذكار الذات الإنسانية لفقدها ما تعتز به سواء على المستوى المادي أو المعنوي، ومن بين أبرز مظاهر الحنين هو الحنين إلى الطفولة والصبا والشباب ذلك أن هذه المراحل تمثل أجمل المراحل العمرية[2].

و الشاعر أحمد شوقي من أولئك الشعراء الذين تحدثوا عن تلك المرحلة مرحلة الطفولة وجسدوها في إشعارهم إلا أن شوقي لم يصور طفولته كما فعل غيره بل صورة طفولة أبنائه داخل الأسرة بكل تفاصيلها.

" ويقول في ذلك الباحث عارف الساعدي: " وقد كنتُ أظن أنَّ هذه التفاصيل اليومية للبيت والعائلة لا يمكن أنْ تنتجها الهياكل الكلاسيكية، إنَّما هي بنت الحداثة، وعلى وجه التحديد بنت قصيدة النثر، التي من الممكن أنْ يكون فيها جدول مختلف تستحم فيه العائلة وتفاصيلها، فحتى النص الذي كتبه السياب عن ابنه غيلان (مرحى غيلان) لم يكن يتحدث عن تفاصيل الطفل مع أبيه، إنما كتب باستعارات وصور تشبيهيه وتناصات أكبر من حجم وتلقائية الأطفال[3] يقول:

بابا... بابا

ينساب صوتك في الظلام إليَّ كالمطر الغضير

ينساب من خلل النعاس وأنت ترقد في السرير

من أي رؤيا جاء؟ أي سماوة ؟ أي انطلاق

بابا كأن يد المسيح

فيها، كأن جماجم الموتى تبرعم في الضريح[4]

مع العلم أنَّ الشعر العربي لم يخل على الإطلاق من هذه الحميمية ما بين الأب وأطفاله، ولكن الغريب أن أهم الأنطولوجيات الشعرية وهما ديوان الحماسة لأبي تمام، وديوان الشعر العربي لأدونيس، خاليان تماماً من أي شعر خاص وذاتي للشاعر مع أطفاله، ما عدا باباً يمكن أنْ يكون في جزء منه للعائلة وضعه أبو تمام في نهاية حماسته، ولكنه للأسف أسماه بـ (باب مذمة النساء)، وما تحفل به الذاكرة إلا أنها أشعار رثائية قيلت لأبناء الشعراء المتوفين، كقصائد ابن الرومي، أو قصيدة أبو تمام في رثاء ابنه، ورثائيات كثيرة جداً مثل هذا النوع، ولكننا لم نحفل كثيراً بنصوص تدوّن تفاصيل الأبناء، بطريقة حميمية مثلما فعل (أحمد شوقي) [5].

02- أحمد شوقي نشأته وحياته:

هو أحمد شوقي علي بن احمد أشهر شعراء العصر الحديث يلقب بأمير الشعراء ولد بالقاهرة سنة 1869م[6].ونشأ في ظل البيت المالك بمصر وتعلم في المدرسة الحكومية وقضى سنيين عمره في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله الخديوي توفيق سنة 1887م إلى فرنسا فتابع دراسة الحقوق في نيلية.

كان شوقي ينحدر نسبه إلى عناصر مختلفة فقد كان أبوه يجري فيه الدم العربي الكردي والشركسي وكانت أمه يجري فيها الدم التركي واليوناني إذ كان أبوها تركيا من بطانة إبراهيم ومن كلفوه إلى إسماعيل وأصبح في عهد الأخير وكيلاً لخاصته، أما أمها كانت يونانية مني سي إبراهيم في بلاد المورة[7].

تنقل شوقي بين عدة وظائف " حتى أصبح أمينا للجمارك المصرية في عهد سعيد[8].

اتسعت ثروت شوقي وعاش مترفاً، في نعمة واسعة، ودعة تتخللها ليال " نواسية" وسمي منزله " ككرمة ابن هاني" وبستاناً له " عش البلبل" وكان يغشى في أكثر العشيات بالقاهرة مجلس من يأنس بهم من أصدقائه، يلبث

مع بعضهم ما دامت النكتة تسود الحديث، فاذا تحولوا إلى جدل في سياسة أو نقاش في " حزبية" تسلل من بينهم، وأم سواهم.

وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي، بالعربية، وقد حاول قبله أفراد، فبذهم وتفرد. وأراد أن يجمع بين عنصري البيان : الشعر والنثر، فكتب نثرا مسجوعا على نمط المقامات، فلم يلق نجاحاً، فعاد منصرفاً إلى الشعر[9].

عالج شوقي أكثر فنون الشعر : مديحاً، وغزلاً ، ورثاء، ووصفاً، ثم ارتفع محلقا فتناول الأحداث السياسية والاجتماعية، في مصر والشرق والعالم الإسلامي، فجرى شعره على كل لسان وكانت حياته كلها " للشعر " يستوحيه من المشاهدات ومن الحوادث[10].

03- طفولة أبنائه من خلال شعره.

يمثل حب شوقي وحنينه لأبنائه معلماً بارزاً في شعره خصوصا تلك القصائد التي تغنى فيها بحبه لهم. فشوقي هو الأب الحنون الذي يخشى على أبنائه من نسمات الهواء، كما أنه كان يصاب بحالة من الحزن الشديد عندما يمرض أحد أبنائه، فكثيرا ما كان يسافر إلى الإسكندرية هرباً من المعاناة التي يسببها له ألآمهم من المرض، فهو لا يتحمل الأذى الواقع بهم، هذا الإحساس الذي كان يسيطر على شوقي في تعامله وحبه لأبنائه، دفعه للتغني بهم متتبعا مراحل نموهم في فترة طفولتهم، وقد ركز شوقي في شعره على هذه المرحلة من عمر الأبناء باعتبار أنها من أجمل مراحل عمر الإنسان.

وقد كانت ابنته أمينه هي البنت الوحيدة للشاعر أحمد شوقي بين ثلاثة أخوه لذلك حازت على نصيب الأسد من شعره.

وقد ولدت ابنته أمينه في ذات الساعة التي توفي فيها والده فكانت بمثابة بلسم شافي لجرح والدها وحسرته على وفاة والده فقال في ذلك:

الموت عجلان إلى والدي***والوضع مستعصي على زوجتي

وتلك في مصر على حالها***وذاك رهن الموت والغربة

والقلب ما بينهمـــا حائـــر***من بلدة أسرى إلى بلدة

حتى بدا الصبح، فولى أبي***وأقبلت بعد العناء ابنتي[11]

وقد لاقت ابنته أمينه اهتماماً كبيراً منه منذ صغرها ظهر ذلك جليا في تتبعه لمراحل نموها وقد قال في ذكرى مولدها الأول وقد أكملت ابنته عاماً:

أمينتي في عامها***الأول مثل الملك

صالحة للحب من***كل وللتبرك

كم خفق القلب لها***عند البكاء والضحك

وكم رعتها العين في***السكون والتحرك

فإن مشت فخاطري***يسبقها كالممسك

ألحظها كأنها***من بصري في شرك

فيا جبين السعد لي***ويا عيون الفلك

ويا بياض العيش في ال***أيام ذات الحلك

إن الليالي وهي لا***تنفك حرب أهلك

لو أنصفتك طفلة***لكنت بنت الملك[12]

شبه شوقي ابنته أمينه بالملك المحبوب الذي يحبه جميع رعاياه ويتبركون به ويسعدون بقربه، ثم مضى يتابع ابنته التي أكملت عامها الأول في كل صغيرة وكبيرة، فعندما تبكي يتعرف على سبب بكائها ويزيله، وعندما تضحك يخفق قلبه فرحاً بفرحها، وعندما تمشي يمسك بها خاطره خوفاً عليها ويظل يراقبها بعينيه مخافة مكروه يصيبها، فابنته أمينه مصدر سعادته.

ولقد رسم شوقي حبه لابنته في صور بالغة الدقة، تجسد تلك العاطفة الفطرية التي فطر الله تعالى عليه عباده، فبعد أكمال ابنته أمينه عامها الثاني انشد داعياً لها بالسلامة :

أمينة يا بنتي الغالية***أهنيك بالسنة الثانية

وأسأل أن تسلمي لي السنين***وأن ترزقي العقل والعافية [13]

ولعل في تتبعه لابنته أمينه وحرصه على تهنئتها بعيد ميلادها الثاني انعكاس صادقاً لمدى حبه لها وللمكانة الكبيرة التي تحتلها في قلبه، فهو يدعو لها في شعره بالسلامة والعافية وان تسلم من غدر السنين ويدعو الله أن يرزقها الله عقلاً راجحاً.

وبعد أن تجاوزت ابنته عامها الثاني جعلها في صورة ملاك ذات عينين سماويين، وسنين كأنهما اللؤلؤ والجواهر إذ طلبت فطلباتها مجابه يقول شوقي:

ولي طفلة جازت السنتين***كبعض الملائك أو أطهر

بعينين في مثل لون السماء***وسنين يا حبذا الجوهر

أتتني تسألني لعبة***لتكسرها ضمن ما تكسر

فقلت لها أيهذا الملاك***تحب السلام، ولا أنكر [14]

كذلك ينظم قصيدة أخرى متحدثا فيها عن أمينه وكلبها الأسود الصغير الذي يناهز الشهرين من عمره يقول:

يا حبذا أمينة وكلبها***تحبه جداً كما يحبها

أمينتي تحبو إلى الحولين***وكلبها يناهز الشهرين

لكنها بيضاء مثل العاج***وعبدها اسود كالدياجي [15]

وقال وقد قبلها في الصباح:

يا شبه سيدة البتو***ل، وصورة الملك الطهور

نسى جمالك في الإنا***ث جمال يوسف في الذكور

زين المهود اليوم أنـ***ـت، وفي غد زين الخدور [16]

ظهر ذلك الحب الكبير لابنته أمينه " عندما كان على ظهر السفينة مسافراً حيث يقول عندما رأى بنت صغيرة ذكرته بابنته أمينة[17]:

هذه نور السفينة***هذه شبه (أمينة)

هذه صورتها من***بئة عنها مبينة

هذه لؤلؤة عن***دي لها مثل ثمينة

من بنات الروم لكن***لم تكن عندي مهينه

أنا من يترك للدي***ان في الدنيا شئونه

يا ملاك الفلك لي صن***وك في تلك المدينة

أنت في الفلك بهاء***وهو في (حلوان) زينة

ناجه واذكر له وج***د أبيه وحنينه

وأفده: أنني في ال ***بحر مذ دست عرينه

لست بالنفس ضنيناً***وبه نفسي ضنينه

أسأل الرحمن يرعي***ك وإياه عيونه[18]

كذلك حينما بشر شوقي بابنه (علياً) فرح فرحا شديداً بقدومه فجسد فرحه ذلك شعراً حيث يقول:

صار شوقي أبا علي***في الزمان (الترللي)

وجناها جناية***ليس فيها بأول[19]

وقال في ذلك أيضا:

علي لو استشرت أباك قبلاً***فإن الخير حظ المستشير

إذا لعلمت أنا في غناء***وإن نك من لقائك في سرور

وما ضقنا بمقدمك المفدى***ولكن جئت في الزمن الأخير[20]

ويقول شوقي مخاطبا ابنه علياً معتذرا له عن إسرافه في الحديث عن ابنته أمينه مبيناً له حبه الجم له وانه قطعاً لا يقصد احتقاره وتجاهله:

فيا علي، لا تلمني***فما احتقارك قصدي

وأنت مني كروحي***وأنت من أنت عندي[21]

كذلك مضى شوقي يتتبع مراحل ابنه (علي) الذي دخل في السنة الثانية من عمره على شاكلة تتبعه لابنته أمينه فيقول:

هذه أول خطوه***هذه أول كبوة

في طريقي لعلي***عنه لو يعقل غنوه[22]

فشوقي نموذجا للأب المثالي الذي يحب أبنائه ولا يفرق بينهم وقد كان كثير التعلق بهم يثني على كل واحد منهم، فهم من أسباب سعادته في هذه الدنيا، فيقول ردا على الذين اتهموه بأنه يفاضل بين أبنائه:

يقولون لما تطري عليا وأخته***وتنسى حسناً والحسين كريم

فقلت فؤادي للثلاثة منزل***هما طنباه والحسين صميم

ثلاثة أسباب لأنسي ولذتي***يبارك فيها مانحي ويديم

إذا ما بدا أن أفاضل بينهم***أبي لى قلب عادل ورحيم

أحب صغار العالمين لأجلهم***وبعطف قلبي ذو أب ويتيم[23]

ويقول شوقي في قصيدته (يوم الفراق) وقد بكى طفلاه وتشبثا به لكي لا يخرج:

بكيا لأجل خروجه في زورة***يا ليت شعري: كيف يوم فراقه؟

لو كان يسمع يومذاك بكاهما***ردت إليه الروح من إشفاقه[24]

وبعد فراق شوقي لأبنائه مضى يصور ذلك الشوق والحنين لهم فيقول:

شجاك صغار كالخمان وموطن***ند مثل أيام الحداثة ممرع

إذا كان في الآجال طول وفسحة***فما البين إلا حادث متوقع

وما الأهل والأحباب إلا لآلئ***تفرقها الأيام والسمط يجمع[25]

يقول في قصيدة (البنون والحياة الدنيا) متحدثا عن نعمة البنون الذين هم ورود ورياحين الحياة متمثلا قوله تعالى: " ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا "[26]

الضلوع تتقد***والدموع تطرد

أيها الشجي أفق***من عناء ما تجد

البنون هم دمنا***والحياة والورد

لا تلد مثلهم***مهجة ولا كبد[27]

هذا الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأبنائه والذي ينبع من عاطفة أبويه صادقة جعلته يحب كل أطفال العالم بسبب حبه لأبنائه فطفق يكتب لهم أجمل الأشعار.

4 0- الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة وصل الباحث لعدد من النتائج

- استطاع شوقي من خلال توظيف اللفظة السهلة أن يخلق صور فنية رائعة تجسد بصدق حب الآباء لأبنائهم.

- تتبع شوقي مراحل النمو المختلفة للأبناء وركز على مرحلة الطفولة التي تمثل أجمل مراحل العمر والتي لها واقع خاص في حياة الآباء والأمهات.

- حظيت أمينه بنصيب الأسد من شعر والدها ثم يليها في الاهتمام علي، في حين غاب عن شعره باقي أبنائه عدا إشارات سريعة خاطفة لا يطيل الوقوف عندها.

- يمثل شوقي اتجاه جديدا في الشعر العربي الحديث يدعو ضمنياً للالتفات للأبناء وتخليد طفولتهم في ذاكرة الشعر.

06- المصادر والمراجع:

*- القرآن الكريم.

1- أحمد شوقي: الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، " د.ط "، 2012م.

2- بدر شاكر السياب: أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، " د.ط "، 2014م.

3- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1990م.

4- راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مكتبة الأسد الوطنية، إتحاد الكتاب العرب.

5- شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، مصر، ط10، "د.ت".

6- شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مكتبة الأسرة، مصر، " د.ط "، 2010م.

7- فهمي، ماهر حسين: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات الأدبية واللغوية،القاهرة، 1970م،

الأطروحات:

-نضال عليان العماوي : الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي (دراسة وصفية تحليلية)،بحث ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م

المجلات والدوريات:

-عارف الساعدي: قصائد الآباء عن الأبناء، صحيفة الشرق الأوسط ، الأربعاء 8 يوليو، 2020م، العدد 15198

07- الهوامش:

[1] – ماهر حسين فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات الأدبية واللغوية،القاهرة، 1970م ، ص59

[2] – راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مكتبة الأسد الوطنية، إتحاد الكتاب العرب ، ص52)

[3] – عارف الساعدي: قصائد الآباء عن الأبناء، صحيفة الشرق الأوسط ، الأربعاء 8 يوليو، 2020م، العدد 15198،ص2)

[4] – بدر شاكر السياب: أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، " د.ط "، 2014م، ص13)

[5] – عارف الساعدي: قصائد الآباء عن الأبناء، ص2)

[6] – خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1990م ، ص137)

[7] – شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، مصر، ط10، "د.ت" ، ص110)

[8] – شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مكتبة الأسرة، مصر، " د.ط "، 2010م (ضيف: 2010م، ص9)

[9] – الزركلي:الأعلام، 1990م، ص137)

[10] – المصدر السابق: ص137)

[11] – أحمد شوقي: الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، " د.ط "، 2012م ، ص856)

[12] – المصدر السابق، ص856)

[13] – أحمد شوقي: الديوان، ص856)

[14] – المصدر السابق: ص859)

[15] – نفسه: ص858)

[16] – أحمد شوقي: الديوان، ص860)

[17] – نضال عليان العماوي : الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي (دراسة وصفية تحليلية)،بحث ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م ، ص95)

[18] – أحمد شوقي: الديوان،ص475)

[19] – أحمد شوقي: الديوان، ص855)

[20] – المصدر السابق: ص855)

[21] – نفسه: ص856)

[22] – نفسه: ص861)

[23] – أحمد شوقي: الديوان، ص590)

[24] – المصدر السابق: ص861)

[25] – نفسه: ص523)

[26] – سورة الكهف: الآية 46)

[27] – أحمد شوقي: الديوان، ص653)